سينما

حكاية غير سينمائية

براءة وسخرية واغتراب

إقامة في إسطنبول دافعٌ إلى معاينة أحوال عيش يومي، في شارع مليء بمحلّات أنتيكا وبغاليريهات فنية وبـ«متحف البراءة»، للتركي أورهان باموق

نديم جرجوره

55 خطوة فقط تفصل المبنى، الذي أُقيم فيه منذ 5 أغسطس/آب 2021، عن «متحف البراءة»، في شارع «تجُكُر تجُمعه» («الجمعة العميقة» كترجمة حرفية لـ Cukur Cuma). 55 خطوة فقط، أمشيها في أيامٍ عدّة كلّ أسبوع، قبل أنْ أنظر إلى المبنى، متأمّلاً شيئاً منه في كلّ مرّة، أو متغاضياً عنه مرّات ومرّات. لكنّي أحجم عن دخوله، لحجّةٍ يقول بها معارف مختلفون: «عليك بالرواية أولاً». لكنّ الرواية غير مبنية على المتحف فقط، ولا المتحف يرتكز عليها فقط. العملان، اللذان تزامن اشتغال أورهان باموق عليهما (الرواية صادرة باللغة التركية عام 2008)، يُكمل أحدهما الآخر، فالمتحف يضمّ أدوات وتفاصيل خاصة بقصة حبّ، ينشأ بين كمال الثري وشابّة فقيرة، في سبعينيات القرن الـ20 في إسطنبول. هذه الأدوات والتفاصيل مذكورة في الرواية، كما هو معروفٌ.

في فترة إقامتي في ذاك الشارع، المكتظّ بمحلّات تتراوح بين معارض فنية وأشغال «أنتيكا» ومقاهٍ قليلة وفندق واحد، أبقى خارج المتحف، مُتحسّراً على نسيانٍ يلمّ بي قبيل سفري، فيحول دون وضع الروايةِ، المترجمة إلى الفرنسية عام 2011، في حقيبتي. أشعر بضيق، إذْ أعرف أنّ الغرفة التي سأقيم فيها قريبةٌ من المتحف، والرواية موضوعة أمامي عند تجهيز الحقيبة. هناك ما يُغمض عينيّ عنها، فأنساها. أحاول قراءة ترجمة عربية لها، منشورة على موقع قرصنة، سأهرب منها سريعاً، خوفاً من أنْ أُصاب بصدمة الترجمة العربية، إذْ يندر أنْ تكون الأخيرة مُمتعة وجاذبة.

الشارع يطول قليلاً، ويصعد بالمارّة إلى أكثر من اتجاه في منطقة «بيوغلو»، إنْ يأتوا من جهة المبنى الذي أُقيم فيه. يُخبرني صديقٌ، مُقيم في الشارع نفسه، أنّ الحيّز هذا مليء سابقاً بفنانين وفنانات، يُغادرونه قبل عامين أو أكثر بقليل، لرغبة لديهم في حيّز آخر. الغاليريهات باقية، ومحلّات الـ«أنتيكا» أيضاً، تلك التي يُخرج أصحابها ما فيها إلى الرصيف، كلّ صباح، لعرضها أمام المارّة، ثم يُعيدونها إلى الداخل كلّ مساء. هناك من يُمدّد بعض السجّاد على الطريق، تاركاً إياه تحت أقدام المارّة وعجلات السيارات القليلة، التي تمرّ فيها. المنازل السكنية كثيرة، كالقطط التي تتنزّه بحرية تامة. الأزقّة الضيّقة، المتفرّعة منه، قليلة. امرأة عجوز تمضي معظم نهارها أمام نافذة منزلها، تنظر بعينين متعبتين (أو هذا ما توحيان به) إلى ما يحصل في زقاقها المطلّ على شارع المتحف. عجوز آخر، في الشارع المقابل، يجلس أمام نافذة غرفته، ساعاتٍ طويلة كلّ يوم. منزله، في الطابق الأول، يُطلّ على غرفتي. أسأل. يقول لي أحدهم: «هذه عادة عجائز كثيرين. لكنّ السبب غير معلوم. ربما لانعدام أي مهنة لديهم. أو ربما لانتظار يُتقنون عيشه بصمتٍ، ولعلّهم غير عارفينَ أصلاً ماذا ينتظرون، أم أنّهم يعرفون فلا يقولون». التردّد يمنعني من دخول المتحف. أيكون عليّ فعلاً أنْ أقرأ الرواية أولاً؟ لن أعرف إجابة شافية. لكنّي أبقى خارج المتحف، منتظراً قراءتها. هذا يُحيل إلى تساؤل شبيهٍ: هل يُستحسن أنْ تُقرأ رواية، مقتبسة إلى فيلم، قبل مشاهدتها سينمائياً؟ أم أنّ المُشاهدَة أولاً أفضل، أو ضرورية؟ العجز عن حسم سؤال «متحف البراءة»، بين الرواية والزيارة، غير مُختلف عن حسم سؤال القراءة والمُشاهدة. المغامرة وعيشها كفيلان بالإجابة، فالمغامرة تعني تجاوز أعرافٍ وثوابت وتقاليد، وعيش المغامرة تجربة تُضاف إلى وعيٍ وتُغذّيه. قراءة رواية، قبل مشاهدة فيلم مقتبس منها، مغامرة معنية بعلاقة انفعالية وعقلية وذاتية بنصٍّ مكتوب، تُتيح للقارئ إمكانية اختراع صُور سينمائية منه، ستصطدم (إيجاباً أو سلباً) بمُشاهدة ما يخترعه مخرجُ/ مخرجة، باقتباسه الرواية نفسها في فيلم، يُترجم علاقته بها. لـ«متحف البراءة» ميزةٌ تختلف عن سؤال القراءة . المُشاهدة. يُقال إنّ فيه أشياء مرتبطة بأفرادٍ ومشاعر، وببيئة وأناس، وبتاريخ وذاكرة، وباجتماع وسلوكه، وبحكاياتٍ ووقائع وأساطير. هذه حاضرة في الرواية، كما يُقال أيضاً. رغم هذا، يحول التردّد إزاء فعل المغامرة وعيشها دون اقتحام الخطّ الفاصل بين القراءة والزيارة، على نقيض ما يحصل في مسألة القراءة . المُشاهدة، إذْ تغلب المُشاهدة أولاً، أحياناً كثيرة. التردّد يمنعني من شراء بطاقة دخول إلى متحفٍ، أشعر برغبة في زيارته، لكنّي أبقى خارجه. لاحقاً، سأتحاشى المرور قرب المتحف. هناك أزقّة أخرى توصلني، وإنْ صعوداً أقسى، إلى أمكنة أبغي تمضية وقتٍ فيها كلّ يوم. سأحاول أنْ أزيل عن نفسي ثقل السؤال والتردّد. في غرفتي، تمرّ ساعات في كتابةٍ وقراءة. للوقت المتبقي أمكنةٌ تتفرّع من «استقلال»، وأخرى تمتدّ في «جيهانغير». حانة النبيذ (Solera) تقع في منتصف شارع «يَني كارسي» (سيارات جديدة)، الصاعد بي إلى «استقلال»، من جهة بعيدة عن «متحف البراءة». بالقرب منها مكتبة صغيرة، تبيع لوحات وأشياء عتيقة وصُورا وبطاقاتٍ وكتبا، وبعض الكتب قديمٌ، ولغاتها تركية وإنكليزية وفرنسية. العجوز، صاحب المكتبة، يمضي نهاره في القراءة، ويستقبل زائريه بابتسامة هادئة. آلة حاسبة قديمة وصغيرة تبقى معه، لتحديد ثمن ما يُشترى.

متحف مليء بأشياء لأفراد تصنع ذاكرة وأحوال بيئة وزمن

أورهان باموق في «متحف البراءة» في 12 فبراير/شباط 2020 (أحمت بولات/ الأناضول)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

«كراهية»: تشويقٌ بصريّ لقصّة عادية

عشية ترقيةٍ يستحقّها، جرّاء حِرفيّته المهنيّة وحُسن سلوكه في دائرة شرطة إسطنبول، يتعرّض النقيب هارون شِليكتان (يلماز إردوغان) لمحاولة قتلٍ، تؤسّس مساراً جديداً في حياته، منبثقاً من ماضٍ ينساه. «كراهية» (ترجمة حرفية للعنوان التركي Kin، أو «ضغينة»، كترجمةٍ للعنوان الإنكليزي Grudge)، للمخرجة التركية توركان داريا (إزمير، 1971)، يروي راهناً مفتوحاً على ذاك الماضي، الحاضر بقوة وعنف وحدّة في امرأة وشقيقها، يسعيان معاً إلى ثأر مُنتظَر منذ سنين. والثأر، إذْ يُحرّكهما في سعيهما الدؤوب والخفيّ إلى تحقيق عدالةٍ فردية، يُشكّل نواة درامية مشغولة بحِرفية أفلامٍ مُشوِّقة.

ذات وقتٍ، يُكافأ شِليكتان على أفعاله، المتمثّلة بمكافحة أنواعٍ مختلفة من الجرائم، بمنحه «جائزة أفضل شرطيّ لهذا العام». أعضاء فريقه يُحبّونه، فهو يُعاملهم كضابط وأبٍ وصديق في وقت واحد. يحتفل معهم في ليلةٍ، ستكون بداية مسار انحداريّ له صوب الهاوية. في تلك الليلة، يخطفه سائق سيارة أجرة، ويُحاول قتله فيفشل. يُقتَل السائق، لكنّ شِليكتان يُخفي الأمر عن الجميع، قبل أنْ يُعثر على السائق نفسه معلّقاً على رافعة بناء ضخم قيد الإنشاء، أمام مقرّ الشرطة. يُكلَّف هو وفريقه بالتحقيق. المسألة حسّاسة. رئيسه يُلحّ عليه بكشف الوقائع والحقائق، فالقيادات العليا تُريد إغلاق الملف بالعثور على هوية المقتول، وسبب قتله، والقاتل.

رغم أنّ جُرمه دفاعٌ عن النفس، يختار هارون شِليكتان الصمت. الترقية أهمّ، وإلحاح قائده عليه (افعل ما تشاء بعد ترقيتك) عاملٌ ضاغط. العثور على الجثة مدخلٌ إلى خرابٍ أكيد. العثور على دليل يؤكّد وجوده في سيارة الأجرة، المركونة إلى جانب الرافعة، يبقى سرّاً يتحكّم به من سيكون مُطارِدُه. التحقيقات تتعقّد، وظهور غول جانكر (دويوغو سارسَين) فجأة في مقرّ الشرطة، بهدف تسليم نفسها بتُهمة القتل، يزيدها تعقيداً، فهي تريد لقاء خاصاً مع شِليكتان نفسه، لتكشف له وقائع ما يجري: إنّها شقيقة تونجاي (جِمْ يغيت أوزومُغْلو)، أحد أعضاء فريق التحقيق، أصغرهم سناً، وأكثرهم قرباً من عائلة النقيب، الذي يقول له بعد توبيخٍ مهنيّ عادي: «إنّك فتى طيّب. لا تتغيّر. لكنْ، لا تُظهر للجميع كم أنّك طيّب القلب. لا تنسَ: ما أسهل أنْ تكون طيّباً، وما أصعب أنْ تكون عادلاً».

قولٌ كهذا ينطبق على تونجاي تماماً. هو من يعثر على الدليل، فيُخفيه لوقتٍ. يراقب النقيب بعينين تقولان حرصاً عليه. ينتبه إلى التصرّفات كلّها لقائده. ملامحه تشي بطيبةٍ وبراءة، فهو بارعٌ في إخفاء ما يضمره ويشعر به. في الدقائق الأخيرة من «كراهية» (106 دقائق)، تنكشف علاقته بغول جانكر، التي تضع وشماً على إحدى يديها يعكس شيئاً مما تجهد في بلوغه: «العدالة للجميع». غير أنّ مفهوم العدالة، كالمفاهيم كلّها، يختلف من شخص إلى آخر. النقيب هارون شِليكتان يعتقد أنّ مهنته كشرطيّ تهدف إلى الاقتصاص من المجرمين، والمشاركة في تحقيق العدالة للضحايا ولذويهم. غول وتونجاي (اسمه الحقيقيّ إمره تورال) يعتبران تنفيذ الثأر، المدفوع بغضب وحقد وغليان، عدالة.

ثأر يُطارِدُ شرطياً وانتقامٌ يُغذّي حقداً وكراهية

النقيب هارون شليكتان يتوسّط فريق التحقيقات في «كراهية» (الملف الصحافي)

ندیم...

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أقوالهم

يجب أن يكون لي دور في كتابة السيناريو. أنا لا أجيد الكتابة، لكن عليّ ذلك كمخرج، لأن هذه المشاركة تنظّم أفكاري عن الفيلم، وتبلورها. على الفيلم أنْ يكون واضحاً في ذهن المخرج، قبل دخوله موقع التصوير. موهبته الأساسية أنْ يُشارك مخيلته مع الجمهور. لذا، أقوم بتحضيرات كثيرة، لكنّي لا أرسم المشاهد مسبقاً، فالـ«ستوري بورد» تأخذني في اتجاه خاطئ.

رومان بولانسكي

مشاهدة صف طويل من البالغين، المتهافتين على مشاهدة فيلم «أبطال خارقين»، أمر مقلق. أفلام كهذه مأخوذة من قصص مكتوبة قبل 50 عاماً لأولاد يبلغون 12 عاماً. إنّها تسطّح حياتهم، وتعكس رغبتهم في الهروب من واقعهم. هذا مؤشر خطر. عام 2016، عُرض 12 فيلماً لأبطال خارقين، 6 منها تصدّرت الإيرادات، وفاز دونالد ترامب بالانتخابات، وانسحبت بريطانيا من الاتحاد الأوروبي.

آلن مور

أفعالهم

Intregalde لرادو مونتين، تمثيل **ماريا بوبيستاسو** (الصورة): أثناء تأديتهما مهمة إنسانية، مع مجموعة من الأشخاص، في منطقة معزولة في ترانسلفانيا (تأمين سلع ضرورية للناس)، يلتقي الثنائي ماريا ودان بأحد سكّان المنطقة، يعيش ارتباكاً وضياعاً، فيحاولان مساعدته. هذا كافٍ لتعرية المجموعة وتفاصيل علاقات أفرادها، بعضهم ببعض.

La Vraie Famille لفابيان غورجار، تمثيل **ملاني تييري** (الصورة): بعد 6 أعوام على رعايتها سيمون منذ بلوغه 18 شهراً، تواجه آنا (34 عاماً)، المتزوجة وأم ولدين، معضلة: الوالد البيولوجي لسيمون يُطالب به. ستكون المعاناة كبيرة، وستحاول آنا مواجهة الأمر بشتى الوسائل، فهي غير قادرة عن التخلّي عمن كان يناديها دائماً «يا أمي».

أخبار

◆ قال كاري جوجي فوكوناغا، مخرج الفيلم الجديد من سلسلة العميل 007، بعنوان «لا وقت للموت»، إنّه لم يتمكّن من تصوير جديده هذا بشكل كامل بتقنية «آيماكس»، بسبب المخرج كريستوفر نولان، الذي حجز كلّ كاميرات الـ«آيماكس» المتوفّرة في هوليوود، وعددها 6، لتصوير فيلمه «تينيت (Tenet)». يُذكر أنّ العروض التجارية للمغامرة الأخيرة لجيمس بوند بدأت في المملكة المتحدّة في 30 سبتمبر/ أيلول 2021، وفي الولايات المتحدّة الأميركية في 8 أكتوبر/ تشرين الأول الجاري، بعد يومين اثنين فقط على بداية عروضها في فرنسا؛ وأنّ الإيرادات الدولية بلغت 321 مليوناً و191 ألفاً و483 دولارا أميركيا، علماً أنّ ميزانية إنتاجه بلغت 250 مليون دولار أميركي. بينما حقّق «تينيت»، الذي بلغت ميزانية إنتاجه 250 مليون دولار أميركي أيضاً، 363 مليوناً و656 ألفاً و624 دولارا أميركيا، عام 2020.

◆ بعد وقتٍ قليلٍ على إطلاق عروضه التجارية في دولٍ مختلفة (بدءاً من 15 أكتوبر/ تشرين الأول 2021)، انطلقت «حملة تواقيع» ضد النسخة الجديدة من «هالوين»، بعنوان «هالوين يقتل» لديفيد غوردن غرين، بهدف «إزالة مشاهد في بدايته، يقتل فيها السفّاح مايكل بعضاً من رجال الإطفاء». في المقابل، قام آخرون بـ«حملة تواقيع مضادة»، اعترضوا فيها على الحملة الأولى، وطرحوا فيها سؤالاً أساسياً: «لماذا ممنوع قتل رجال الإطفاء على الشاشة الكبيرة، بينما يُسمح بقتل بقية البشر الآخرين، بشكلٍ عادي؟».

◆ بات سكّان مقديشو قادرين على «الغوص مجدّداً في عالم الفن السابع، بفضل أول عرض سينمائي في المدينة منذ 30 عاماً»، كما جاء في تقرير لوكالة «فرانس برس»، وصف المشهد بأنّه «حدث ثقافي أُقيم في ظلّ تدابير أمنية مشدّدة، في العاصمة المضطربة». يُذكر أنّ الصالة، التي احتفلت بهذا العرض الأول، شُيِّدت عام 1967، بفضل دعم مالي من الزعيم الصيني ماو تسي تونغ، وأنّ البلد يعيش اضطرابات مختلفة منذ عقود: «موقع عرض الافتتاح شهد سابقاً هجمات انتحارية، واستخدمه زعماء الحروب قاعدة عسكرية لهم». وأكّد عبد القادر عبدي يوسف، مدير الصالة، أنّ الحدث «سيُشكّل ليلة تاريخية لجميع الصوماليين»، مُشيراً إلى أنّ «المسرح الوطني الصومالي يسعى إلى أنْ يكون مساحة للتعبير للفنانين المحليين».